

تحليل سيميائي للخطاب القرآني -سورة الملك أنموذجا-

أ /جمعي فاطمة الزهراء
جامعة الجزائر02

تاريخ القبول:2018/12/27

تاريخ الإرسال: 2018/04/15

الملخص:

نحاول في هذا المقال تحليل الخطاب القرآني - سورة الملك أنموذجا- تحليلًا سيميائيًا وفق آليات المنهج السيميائي الموضوعية من طرف غريماس والسيميائيين في العصر الحديث ، مكتشفين مدى تفاعل هذا الخطاب المقدس مع آليات التحليل السيميائي ، وقابليته كغيره من الخطابات الأخرى للتحليل والتفسير على ضوء المناهج اللسانية الغربية ، محافظين على خصوصيته كخطاب قرآني له ما يميزه من قدسية ، كونه صادرا عن خالق وليس عن مخلوق .

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني ، المنهج السيميائي ، آليات التحليل ، غريماس.

Abstrat:

In this article, we try to analyze the Qur'anic discourse in a semantic analysis – Surah almolk model -In accordance with the mechanisms of the Semianic method developed by Greimas and the Semites in modern times , Revealing the extent to which this sacred discourse is interacting with the mechanisms of semantic analysis , And its ability as other speeches for analysis and interpretation in the light of Western linguistic approaches , Maintaining its privacy as a Koranic discourse, which distinguishes it from holiness, because it is derived from the Creator and not from the creature.

Keywords: Qur'anic discourse, Semianism, Analytical methods, Grimas.

١. مدخل إلى النظرية السيميائية :

يُجمع علماء اللغة والأدب أن السيميائيات حقلاً معرفياً حديثاً ظهر في القرن العشرين على يد العالمين فرديناند ديوسوسور في أوروبا وتشارلز سندررس بيرس في أمريكا في فترة متزامنة ، على اختلاف المصطلح بين منتجيه ودارسيه ، فبيرس يقول: " ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات والأخلاق والجادبية ، والمياتافيزيقيا والبصريات ، وعلم الفلك وعلم النفس ، وعلم الأصوات ، وعلم الاقتصاد ... والموازين إلا بوصفها نظاماً سيميائياً"¹ ، فهو يرى في السيميائيات الوجه الآخر للمنطق لأنها تقوم على العلامات ، وهذه العلامات كيفما كان نوعها مستندة إلى المنطق العقلي ، وأي تحليل أو تفكير لابد وأن يتم عن طريقها ، فهي التي تمنحنا القدرة على التواصل مع الآخرين ، و" أن أصل كل تفكير هو العلامات "² ، فاللغة والمنطق عنده وجهان لعملة واحدة.

تزامن تبشير بيرس بالسيميائيات مع مجهودات العالم السويسري فرديناند دوسوسير ، الذي أشار في محاضراته إلى إمكانية ظهور علم جديد يعنى بالعلامات أطلق عليه اسم السيميائيات ، يقول "يمكننا أن نتصور علماً يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية ، علماً يشكل فرعاً من علم النفس الاجتماعي ، ومن ثم فرعاً من علم النفس العام ، وسوف نطلق على هذا العلم السيميائيات من الكلمة الإغريقية (semeion) ، التي يقصد بها العلامة ، وهو علم سنستفيد منه في دراسة وظيفة العلامات ، والقوانين التي تحكمها ، ومادام هذا العلم لم يكتب له الوجود بعد ، فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره ، إلا أن له الحق في الوجود ، وموقعه محدد سلفاً"³.

أما موضوع السيميائيات فهو باختصار يتحدد في دراسة العلامات التي ينتجها الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة معينة ، فالناس يتواصلون فيما بينهم بفضل أنظمة من العلامات على حد قول جون دوبوا الذي " يرى أنها ولدت انطلاقاً من مشروع دي سوسير. وموضوعها هو دراسة حياة العلامات في كنف المجتمع "⁴ ، وقد بينت جوليا كريستيفا موضوع السيميائيات حين قالت : " إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية –ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات- هي ما يشكل موضوع علم

أخذ يتكون، ويتعلق الأمر بالسيمماتيات⁵، وهذا دون أن نغوص في متاهة السيمماتيات هل هي علما أم منهجا أم نظرية .

وعن اتجاهات السيمماتيات فقد تختلف من باحث إلى آخر وهذا حسب الوظيفة التي تؤدها فبيير جيرو يجعلها ثلاثة وظائف أساسية هي "وظيفية منطقية واجتماعية وجمالية"⁶، و محمد السرغيني حدد اتجاهاتها بثلاثة أنواع رئيسة، هي: الاتجاه الأمريكي الذي يمثله بيرس بامتياز، والاتجاه الروسي ممثلاً في الشكلاية الروسية ومدرسة طارتو، والاتجاه الفرنسي الذي عرف اختلافات جمة وزعته إلى مدارس عدة، بالإضافة إلى "عواد علي" الذي يحصرها في اتجاهات ثلاث وهي الأشهر: سيمياء التواصل، سيمياء الدلالة، سيمياء الثقافة وهذا ما يجعل من السيمماتية نظرية تتشعب اتجاهاتها وفروعها بحسب تنوع دارسها (وهذا دون أن نخوض في جدلية السيمماتيات هل هي علما أم منهجا أم نظرية ؟).

سيمماتية أ، غريماص :

استطاع أليجيراد غريماص (هو من أرسى قواعد السيمماتية " la semiotique " مدرسة باريس) أن يستوعب منهج بروب، ويعيد صياغة بعض المفاهيم الوظيفية صياغة مختزلة، فقد وجد أن النص يقوم على برنامج سردي، يسير ضمن آليات منطقية، تحكمها شبكة من العلاقات والعمليات التي تنظم بنيتها، فلا يمكن الوصول إلى معنى النص إلا عبر كشف شبكة العلاقات تلك، والتي قد تكون نواة دلالية " لا مجال إلى اكتشافها إلا بعد التفكيك الدلالي للمفردات، التي هي وحدات دلالية معقدة، تتماسك فيها معان مختلفة، ولكنها بسيطة"⁷، فالنص حسب عبارة عن برامج سردية مكونة من مجموعة عوامل موجودة ضمنه، هذه العوامل ترابط فيما بينها بعلاقات دلالية على المستوى العميق، داخل برنامج سردي يحكمه الاستقرار والحركة، والثبات والتحول في آن واحد.

والذين يعرفون هذه النظرية يعلمون بأن تطبيقاتها كانت على بعض النصوص المحدودة غير المعقدة، مثل القصص الشعبية والقصص الصغيرة، وعليه ذهب بعض النقاد إلى تعميق الطرح بالبحث في إمكانية إسقاط أو نجاح تطبيق هذه النظرية على

النصوص الطويلة مثل الرواية أو أنواع الخطابات الأخرى ... وبالبحث في الجذور النظرية للدرس السيميائي نجده إنبنى وفق مدرستين تعدان كرافدين لها وهما المدرسة السوسرية والمدرسة البرسية وليس من الداعي الخوض في هذه الأصول بتعمق لأن هذا سيبعدنا عن غرض البحث وهو تطبيق الإجراءات السيميائية التي أتى بها غريماص لمقاربة الخطاب القرآني.

يقسم غريماص في كتابه «Du sens» التحليل السيميائي إلى مستويين :

*مستوى العمق *مستوى السطح

_البنية السطحية :

إذا كان الكلام عن الصعيد الدلالي يعني التطرق إلى البنية العميقة للنص، " فإن الكلام عن البنية السطحية يعني الكلام عن الصعيد السردي أي عن الحالات والتحويلات التي تكتنفه والكلام عن الصعيد الخطابي والمسارات الصورية المقترنة"⁸.

أ- مفهوم العوامل: يتحكم في كل خطاب مهما كان جنسه " بنية عاملية هي بمثابة مسرح تحرك ..."⁹، ويتم تحديدها في عدة عوامل:

أولاً: " العامل وهو ما ينجزُ فعلاً أو يخضع له في استقلال عن كلّ تحديداً آخر (دلالي أو إيديولوجي) ، وقد يكونُ كائنات إنسانية أو حيوانات أو أشياء أو مفاهيم .."¹⁰، وهو أنواع عديدة أهمها:

عاملا التواصل: السارد والمسرود عليه ، عاملا السرد: المرسل/ المتلقي ، عاملا الوظيفة: وهو على نوعين:

1-عامل الفعل ، وهو الذي يجعل الاتصال أو الانفصال واقعا ، وتدعى عملية التحويل هذه بالبرنامج السردية.

2-فاعل الحالة ، الذي يتحدد بعلاقته مع الموضوع القيم المبحوث عنه ، إذ قد تكون علاقة اتصال وقد تكون علاقة انفصال.

ثانياً: العامل المساعد الذي يقدم مساعده ، لإنجاز البرنامج السردية للعامل – الفاعل.

ثالثاً: العامل المعارض ، ما يمنع من تحقيق البرنامج السردى.

رابعاً: العامل البطل ، وهو ما كان في موقع معين من المسار السردى ، وكانت له

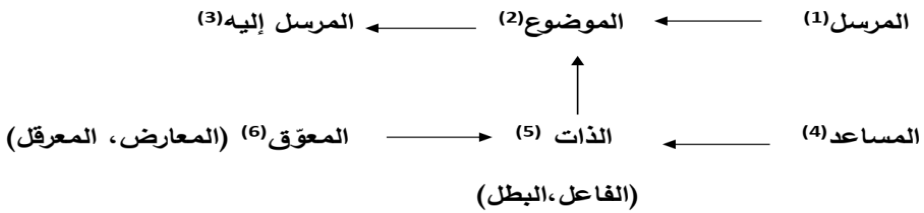
قدرات

(الاستطاعة و/ أو المهارة) ..

خامساً: "العامل الموضوع ، وهو ما كان ذا قيمة مراهن عليها ويقوم الصراع من

أجلها على أساس برنامج سردي ناتج عن فاعل الفعل .. ويصبح " مخطط البنية العالمية

كالتالى



والعلاقة بين هذه العوامل الستة ليست على مستوى واحد ، وإنما هي دينامية

ومتنوعة:

علاقات بين المرسل والمرسل إليه والفاعل والذات والبطل.. والتي تمثل البعد

التعاقدى والانتقالى للموضوع من المرسل إلى المرسل إليه عن طوعية واختيار ، وقد يكون

المرسل- فى الغالب- متسامياً ذا سلطة مادية ومعنوية والمرسل إليه فى موقع المأمور ، أمّا

العلاقة بين الفاعل وضده صراعية تعتمد المواجهة والغلبة والحيلة ، وعلى هذا تصبح

العلاقة بين الذات والموضوع جدلية صراعية ، فقد يقع الانفصال بينهما ويكتب سيميائياً:

(الذات $\cup$ الموضوع) ، أو يقع الاتصال (الذات $\cap$ الموضوع)

" وبشكل آخر، تكتب الوظيفة بأنّ الذات الأولى تكون منفصلة عن الموضوع ، ثم

تتشكل الذات الثانية لتتصل بالموضوع بعد أن انفصلت عنه الذات الأولى ، ثم يتحول

الاتصال مرةً أخرى إلى انفصال وهكذا..¹²

(الذات₁ - الذات₁ $\cup$ الموضوع) الوظيفة.

(الذات₁ - الذات₂ $\cap$ الموضوع) الوظيفة.

_ البنية العميقة:

يحدد غريماص وكورتيس في قاموسهما السيميائي مفهوم البنية العميقة بأنها " مصطلح يتواجد دائما في النظرية العامة للتوليد الدلالي ، ولهذا فهو يعتني بالمبدأ التوليدي الذي بفضلله نجد البنى المعقدة نتاج للبنى البسيطة.¹³

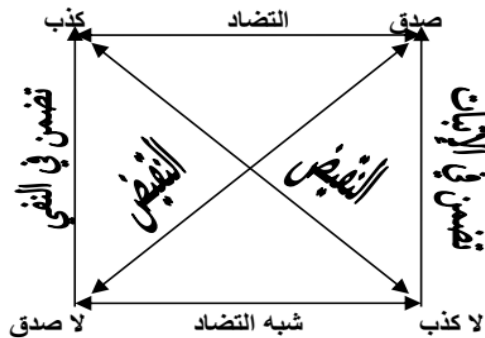
وإذا أرشدتنا البنية السطحية إلى الآليات التي تتحكم في نموّ النص ، فإن البنية الدلالية العميقة ستوصلنا حتما إلى وضع المربع السيميائي ، فالنموذج العاملي يتعقّبه وضع النموذج السيميائي حسب قريماص (GREIMAS) وهو ما يسمى بالمربع السيميائي.

*المربع السيميائي:

يعرفه جوزيف كورتيس (GOSEPH COURTES) بقوله: " إنه تجسيد مرئي لتمفصل مقولة دلالية ، كما يُمكن استخراجها على سبيل المثال من عالم خطاب معطى ، مقولة تمثل اللب المستوى الأكثر عمقا"¹⁴ ، ويعرفه قاموس السيمياء كالتالي: " نقصد بالمربع السيميائي التمثيل المرئي لتمفصل مقولة دلالية ما "¹⁵.

يعني ذلك أنّ رصد البنية الدلالية العميقة في النص المدروس ، قائم على استخدام نموذج البنية الأولية المسمى عند السيميائيين بالمربع السيميائي ، فهو نموذج توليدي ينظم دلالة النص ، ويكشف عن آلية إنتاجها عبر دينامية التنافي ، وبواسطة علاقات التناقض والتضاد المتبادل.. فالنص ينبني حسب ثنائيات متنوعة ، تكون متناقضة أو متضادة أو قضية تنفي قضية أخرى ..

* ويمكن تمثيل ذلك عبر المربع الافتراضي التالي:



II. التحليل السيميائي لسورة الملك :

_ التعريف بالسورة :

" سورة الملك ، حروفها ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر ، كلمها ثلاثمائة وخمسة وثلاثون آياتها ثلاثون ، سورة مكية من المفصل ، ترتيبها السابعة والستون ، نزلت بعد الطور ، وبدأت بأحد أساليب الثناء (تبارك) ، وأول سورة في الجزء التاسع والعشرين (الجزء 29/ الحزب 57/ الربع 1)" ¹⁶.

* اسمها: سُميت "بالمك" لاحتوائها على أحواله ، سواء كان الملك المتعلق بالكون أم بالإنسان ، وأن ذلك كله ملكٌ لله تعالى ، وسماها النبي سورة "تبارك الذي بيده الملك" ، و سُميت أيضا "تبارك الملك" ، وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " كنا نسُميها على عهد رسول الله المانعة ، ورُوِيَ أَنَّ اسمها المنجية وتسمى أيضا الواقية ، وذكر الرازي أن ابن عباس رضي الله عنه كان يسميها المجادلة لأنها تجادل عن قارئها عند سؤال الملكين.." ¹⁷.

* محور مواضيعها: " تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى ، وإنشاء تصور جديد للوجود وعلاقته بخالق الوجود " ¹⁸، وقد تناولت أهدافا رئيسية ثلاثة ، وهي:

- 1- إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة.
- 2- إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين.
- 3- بيان عاقبة المكذابين الجاحدين للبعث والنشور.

* سبب النزول: قال تعالى ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الآية 13) قال ابن عباس رضي الله عنه : " نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبره جبريل "عليه السلام" بما قالوا فيه ونالوا منه ، فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد " ¹⁹.

* فضل السورة: عن مالك بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره رسول الله أنّ "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن ، وأن "تبارك الذي بيده الملك" تجادل عن صاحبها يوم القيامة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ، " ضرب بعض أصحاب النبي خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة "تبارك الذي بيده الملك" حتى ختمها فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيها إنسان يقرأ سورة تبارك (الملك) حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة وهي المنجية تنجيه من عذاب القبر"²⁰.

* إنّ سورة الملك متميزة بمطلعها الجامع الموحى، وهي مثال واضح عن براعة الاستهلال والنظم والإعجاز القرآني ، بحيث يمكن الكشف عن هذه المميزات وأخرى بأسلوب علمي دقيق وفق مستويات معينة تخدم في مجملها غرض البحث.

إنّ عملية تحليل الخطاب تتطلب من الباحث الاهتمام أولاً بالعنوان ثم النظر إلى علاقته بالنص (قد يحوي النص أكثر من عنوان خاصة في النصوص الشعرية) ، وتتطلب كذلك البحث عن الجمل الأساسية وعن آليات ترابطها والتفاعل المتولد بينها بالنظر إلى علاقات عديدة مثل: الخصوص والعموم ، الجزء والكل ، الإجمال والتفصيل ، التداخل ، التضاد ، التناقض ، الترادف ، المقابلة.. "فللكشف عن آليات تناسل النص يتعين الوقوف على مفاهيم تحكمها علاقات منطقية تركيبية دلالية ومعجمية أيضاً ، أهمها: الكلمة-المحور ، الجملة-المنطلق ، الجملة-الهدف ، الجملة-المكتفة.. على أنّها مفاهيم تدخل ضمن محاولة البرهنة على دينامية النص"²¹.

ومفهوم الدينامية باختصار ، "يعني النظر إلى النص في بدايته ونموه ونهايته وآليات انتظامه ، كما ينظر إلى الكائن الحي في صيرورة مراحل عمره من حيث تعاونها وتنافرهما وتساندها وتصارعها"²²، لنصل في النهاية إلى ضبط الإطار المتحكم في تركيب النص من البداية إلى النهاية والانطلاقة تكون من الكلمة-المحور.

1/ دينامية النص:

1_1/ الكلمة – المحور:

وهي كما يصفها محمد مفتاح " الكلمة التي تدور حولها الآيات"²³ وفي سورة الملك الكلمة-المحور واضحة ، فهي كلمة (الملك) وتجليات معانيها متنامية عبر الآيات من البداية إلى النهاية فقارئ السورة يلتبس ذلك وبسهولة من الآية الثانية إلى الآية الأخيرة ، فهو "الله"

مالك الموت والحياة ومالك السماء والأرض ، ومالك جهنم ، ومالك الرزق ، ومالك الماء والحياة .. فما من شك في أنّ الكلمة المحورية الأساسية التي تنبني على أساسها دلالة الآيات المنسجمة هي الملك-العنوان- كما سيتضح أكثر بالنسبة للجملة- المنطلق ، التي تولدت عنها.

2_1/ الثابت البنيوي:

"ويمكن أن يُعبر عنه بالجملة المنطلق"²⁴ ، وهو في السورة الآية الأولى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ (الآية 01) ، وهذا الجزء من السورة هو القضية الكلية وما جاء بعدها بيان وتفصيل لعمومها ، فهي الآية المفتاح والقضية الجوهرية والمحورية ، تتفرع دلالتها لسائر الآيات التابعة لها عبر أبنية متدرجة تسير وفق اتجاهين: إجمال ← تفصيل / تفصيل ← إجمال:

"إجمال"	←	"* تبارك الذي بيده الملك"
تفصيل	←	* الذي خلق الموت والحياة
تفصيل	←	* الذي خلق سبع سموات
تفصيل	←	* الذي يرزقكم
تفصيل	←	* الذي أنشأكم
تفصيل	←	* الذي جعل لكم السمع
تفصيل	←	* الذي ذرأكم في الأرض

وبعد هذا التفصيل في الآيات ، يأتي تكثيف وإجمال لمعانيها في جملة واحدة شاملة وجامعة وهي (الآية 21) في قوله تعالى: ﴿بل لجوا في عتوّ ونفور﴾ ، وهي استئناف بياني وقع جواباً عن القوارع والزواجر والعظات والعبر المتقدمة ابتداء من قوله تعالى:

﴿الذي خلق الموت والحياة﴾²⁵ ، وتصبح لدينا العلاقة الثانية ، تفصيل / إجمال:

تفصيل	←	* الذي خلق الموت والحياة
تفصيل	←	* الذي يرزقكم
تفصيل	←	* الذي أنشأكم

...

...

"إجمال"

"بل لّجو في عتوّ و نفور"

اتّضح إذن ، كيف أن الآية الأولى تحكمت في تناسل النص وفي علاقات وآليات نموه فهي الجملة الثابتة في بنية السورة ، والكلمة-المحور (الملك) تولدت عنها الجملة-المنطلق (تبارك الذي بيده الملك) عبر علاقات معجمية تركيبية تسير وفق اتجاهين من الإجمال نحو التفصيل ومن التفصيل إلى الإجمال ، دون تجاوز دور العنوان (اسم السورة) الذي ورد بصيغة العموم ، بينما بقية النص تخصيص له:

العنوان / الكلمة-المحور (الملك) ← عموم

تخصيصه: - مالك الموت والحياة

- مالك السماء والأرض

- مالك جهنّم

- مالك الأرزاق

- مالك الحياة ..

وكمثال ، أيضا لعلاقة العموم بالخصوص ، الآيتين (5) و(6) ، فالخامسة وردت بصيغة الخاص ثم جاءت السادسة كتعميم لها:

(الآية 06)

(الآية 05)

"وللذين كفروا بربهم عذاب

"ولقد زينا السماء الدّنيا بمصابيح

جهنم

و بئس المصير"

- تعميم -

وجعلناها رجوما للشياطين"

تعميم للكفار

تخصيص للشياطين

وإذا انبنى النص سابقا عن طريق علاقات الإجمال / التفصيل والعام / الخاص عبر الآية المنطلق والكلمة المحور، فإنّ الآليات نفسها تحكم ما يلي في الجملة – الهدف ، ولكن العلاقات عبرها لا يحكمها التداخل في الإثبات ، وإنما التضاد كما سأوضح.

3_1/ الجملة - الهدف:

إنّ كل ما سبق يعزز مفهوم الجملة- الهدف والتي تعني "مركز القرار و منطلق الإشعاع" فهي الجملة التي يتجه ما قبلها ليستقر فيها وما بعدها يتفرع منها²⁶ ، وهي في السورة (الآية 22):

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ ﴾

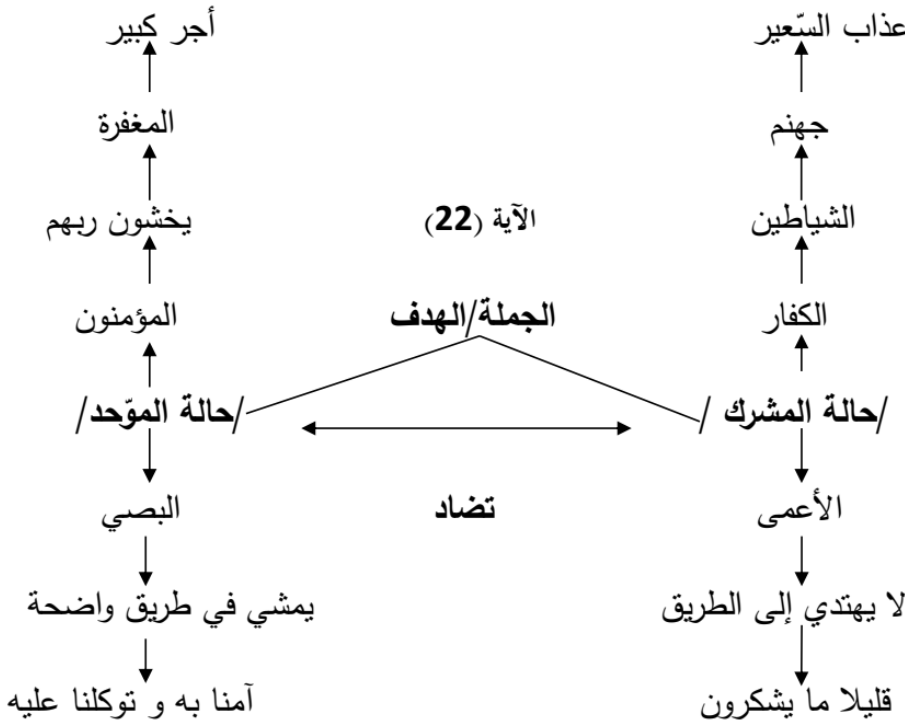
تحمل الجملة / الآية ، علاقة تشبيهية تجمع بين حالتين مركبتين (مقابلة):

- حالة المشرك / الأعشى / لا يهتدي إلى الطريق.

- حالة الموحّد / صحيح البصر / يمشي في طريق واضحة.

وهي استعارة تمثيلية ، حيث شبه المؤمن بحقيقة الملك وحقيقة هيمنة قدرة الله المطلقة بالسوي صحيح البصر، بينما شبه المشرك بالمكبوب والأعشى الذي لا يبصر طريقه وسيبقى ضالا غير مستقيم في تأمله آثار السّير ، وسيعاقبه الله في الدنيا قبل الآخرة وهو هدف السورة.

وإذا قلنا أنّ الآليات التي تحكمّت في الآيات السابقة عبر الكلمة-المحور والثابت-البنوي يربطها التداخل في الإثبات (ما هو مفصّل جاء ليثبت ما هو مجمل) ، فإنّ ما يربط الجملة-الهدف بصيرورة النص ، هي علاقة تضادية ، ما يجعل منها آية متعلقة بالآيات الأخرى قبلها وبعديا كما يوضح الرسم التالي:



* وخلاصة ما سبق نقول أنّ الآليات التي تحكم في دينامية نص سورة الملك هي

كالتالي:

- الكلمة-المحور(الملك) التي انبنت عليها الجملة-المنطلق (تبارك الذي بيده الملك) وتولدت عنها أيضا آيات واصفة نقلتها من العموم إلى ما هو خاص ، ومن الإجمال إلى التفصيل أو العكس.

- الجملة-الهدف التي أتت بعد هذا الامتداد التدريجي لتعبر عن تشاكيلين (موضوعين) كتكثيف لما سبق و ما سيلحق:

الكافر ← [المشرك + الأعمى + غير سوي ..]

المؤمن ← [الموحّد + البصير + السوي ..]

وقد تحكم في هذه الآليات علاقات منطقية تركيبية ومعجمية، كما رأينا:

- * علاقة الجملة – المنطلق بالآيات ← علاقة إجمال / تفصيل ، علاقة خاص / عام مثلا (الشياطين – الكفار).
- * لفظ الملك ، تتواتر دلالاته من بداية السورة إلى نهايتها ، حسب العلاقات التركيبية بين الآيات من خلال التداخل في الإثبات.
- * الجملة – الهدف ← تركيب بين ما قبل وما بعد الآيات/ تداخل في التضاد/ علاقة مقابلة.

2/ البنية الدلالية الكبرى :

لا يتم تحليل نص ما على مستوى المقاطع الجمالية فحسب ، بل على مستوى أشمل من ذلك بحثا عن المعنى الكلي للنص الذي يُصطلح على تسميته بالموضوعة ، والمفهوم النظري الذي يستخدم لوصف هذا المعنى هو مفهوم "البنية الكبرى".

إنَّ الأبنية الكبرى هي أبنية دلالية ، فهي تصور الترابط الكلي ومعنى النص ، وللوصول إليها لابد أن ترتبط القضايا المعبر عنها في جمل النص بواسطة ما يسميه فان ديك بالقواعد الكبرى ، هذه القواعد هي التي تحدد ما هو جوهري في مضمون النص فتحذف الجزئيات ولا تُبقي إلَّا الأساسي من المعلومات ، وعبرها يمكن اختصار مضمون نص ما إلى قضايا كبرى ، وأهمها: الحذف (الانتقاء) ، التعميم ، التركيب..

أمَّا عن سورة الملك فقضاياها وموضوعاتها وإيحاءاتها تترابط عبر مطلعها الشامل ، وكل التيمات

(الموضوعات) تتوالى في السياق لتفسيره بلا توقف ، بحيث يصعب مع ذلك تقسيمها إلى محاور أو مقاطع أو تجزئتها إلى موضوعات ، فأياتها منسجمة ومتوازنة وموضوعها موحد.

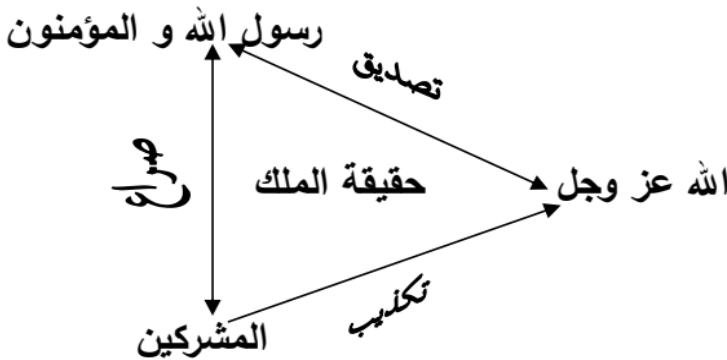
ولكن من الممكن تفصيل ثم تعميم قضاياها حسب الأغراض التي سيقَّت لها وحسب سياق السورة وترتيب الآيات ، مع العلم أنَّ أغراضها جارية على سنن أغراض السور المكية ، وبما أنَّ مفهوم البنية الكبرى أو طريقة تطبيق القواعد الكبرى تلك مفهوم

نسبي ، واستنادا إلى أنَّ لكل نص/ خطاب مهما كان بنية كبرى ، يمكن انتقاء وتعميم المعلومات الهامة في النص وإنشاء أبنية جزئية كالتالي:

- استهلّت السورة بتعريف المؤمنين عظمة الله وتفردّه بالملك.
- التذكير بأنَّ الله مالك نظام الكون ، فهو من أقام نظام الموت والحياة ، وهو المنفرد بخلق العوالم.

- الأمرُ في النظر إلى هذه الدلائل الإلهية مع التحذير من كيد الشياطين.
- التذكير بمنّة خلق الأرض ودقة نظامها وملائمتها وسعي الناس للرزق فيها ، والموعظة من قدرته على إفساد هذا النظام ، وعناء الناس بأمر ومشيئة منه ، ليتذكروا قيمة نعمه ويتذكروا جحودهم.

- توبيخ المشركين على كفرهم بنعمة الله تعالى وعلى وقاحتهم على الاستخفاف بوعيده وأنَّ الوقوع بهم أمر وشيك ، وعلى استعجالهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم ، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره إنَّ أغراض السورة الكريمة واضحة فهي تتقاطع بين جهل الكفّار وتوبيخهم من جهة وبين علم المؤمنين وتصديقهم من جهة أخرى ، بين رفض الشكر والاعتراف بنعم الله أي رفض الثابت المألوف ، في مقابل الإقرار بملكوته والظفر بالثواب في الدنيا والآخرة ، ويصبح لدينا المحور التالي:



إنَّ السورة تبني من قواعد التصوّر الإسلامي جوانب رئيسية هامة ، عبر سبل إنشاء العقيدة في الله والوحي واليوم الآخر والتعريف بالخالق والتأثير الموحى بالمشاعر والقيم والموازن التي يزن بها المسلم الأشياء والأحداث والأشخاص من حوله ، فلا بدّ من إقرار حقيقة الملك وذلك عبر تصديق حقيقة الابتلاء بالموت والتمهيد للجزاء والعقاب ويوم الحشر ، وحقيقة الجمال والكمال في صنعه تعالى ، وحقيقة العلم المطلق بالسر ، ومصدر الرزق.. كل هذه الحقائق لا بدّ أن يقوم عليها تصور المسلم لربه وتصوره للوجود وارتباطه بخالق الوجود.. وعبر ذلك يصبح لدينا المعنى الكلي لهذه الأغراض والدلالات كالتالي:

السورة تقرّ في ضمائر البشر حقيقة الملك الذي بيد الله وهو على كل شيء قدير ، عبر الإقرار بحقيقة قدرته الإلهية المطلقة ، وباختصار ذلك تصبح البنية الدلالية الكبرى لسورة الملك هي:

" إقرار حقيقة الملك من خلال الهيمنة الإلهية المطلقة "

3/- عمودية النص:

تنظر دينامية النص/الخطاب كما سبق وأن أشرت إلى تناسل النص من زاويتين : دينامية التنافي ودينامية الثبات ، وللبحث عن أيّ منهما وتصنيف دينامية نص سورة الملك ، لابد من مقارنة المحور العمودي ، وستتم معالجة هذا العنصر بالتركيز على عنصرين: البنية السطحية و البنية العميقة.

1_3/ البنية السطحية:

- عوامل النص:

بناء على ما سبق ، لابدّ من البحث المكوّن التركيبي العميق في النص بعناصره المختلفة وبدءاً نتساءل عن ماهية المرسل المتسامي وعن المرسل إليه من هو ، وعن النقص الحاصل والفقد المرغوب القضاء عليه وعن الموضوع .. وللإجابة عن هذه التساؤلات ندخل إلى فضاء النص ، وقبل وضع مخطط البنية العاملة لابدّ من تحديد العوامل المحركة للنص:

* فالمرسل المتسامي الذي منح أشياء أو عناصر من سلطة للمرسل إليه ، هو الله عزّ وجلّ المهيمن والمالك والمسيطر على كلّ شيء.

* والمرسل إليه ، هو الإنسان المستقبل لنعم الله وأرزاقه في الدنيا قبل الآخرة ،
والمطلوب منه الشكر والحمد والثناء والطاعة.

* أمّا الموضوع الثمين المعالج في السورة ، فهو إقرار حقيقة المثلّك في نفوس البشرية
وحقيقة الهيمنة الإلهية المطلقة ، عبر إقرار حقائق عديدة تصفها السورة ، مثل حقيقة
الابتلاء بالموت والحياة ، حقيقة الجمال والكمال ، حقيقة العلم المطلق بالسّر ، حقيقة
الرزق ..

* أمّا العامل المساعد ، " لاشيء ".

* العامل المعرقل أو المعوق " لاشيء " ، فما من شيء يتصدى لحكمته عز وجل.

* يبقى البطل ، الفاعل/ الذات المنجزة ، فهو النبي صلى الله عليه وسلم حامل
الرسالة الذي سيبشر الناس ويعلمهم الطاعة والشكر والحمد والثناء على نعم الله.

ولكن هناك واسطة بين الله عز وجل ورسوله الكريم هي الوحي ، فلكي تصل الرسالة
القرآن/ السورة من الباعث والمرسل صاحب الكلام المنزه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
، تأتيه عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام ، ويُصبحُ لدينا برنامج سردي أوّلي ، في عالم
الغيب (حالة الوحي/ نقطة البداية).

البنية العاملية الأولى:

المرسل (الله تعالى) ← الموضوع (سورة الملك) ← المرسل إليه (رسول الله)

المساعد ← الفاعل المنجز (جبريل عليه السلام) → المعرقل

البنية العاملية الثانية:

المرسل (الله تعالى) ← الموضوع (سورة الملك) ← المرسل إليه (الإنسان)

المساعد ← الفاعل المنجز (رسول الله) → المعرقل

ثم يتولى رسول الله مستقبل الرسالة ، مسؤولية نشرها وتعليمها للناس جميعا بالنيابة عن الله عز وجل ويأخذ زمام المبادرة بطلب من الله تعالى ، بالأمر والتوجيه والرد على المشركين ، فتتغير العلاقة في السورة عبر دينامية جديدة:

* المرسل/ النبي حامل الرسالة ، التي موضوعها إقرار الملك والإيمان بالله والتوكل عليه.

* المرسل إليه / الإنسان ، البشر

* البطل أو الفاعل المنجز/ المؤمنون (الرسول + أتباعه).

فالرسول الكريم هو المرسل من جهة والمنجز والمواجه من جهة أخرى ، قد يصادف في طريقه لنشر تعاليم الدين معرقلين ومعارضين هم الكفار ، فيتلقي المساعدة من خالقه ، ويصبح لدينا مخطط البنية العاملة الثالثة كالتالي:

البنية العاملة الثالثة:

المرسل(الله تعالى) ← الموضوع ← المرسل إليه (الإنسان)

(إقرار الملك و الإيمان بالله و التوكل عليه)



المساعد(الله تعالى) ← الفاعل المنجز (الرسول+المؤمنون) → المعرقل(الكفار)

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ البنيتين العمليتين الأولى والثانية ، تمثلان برنامجا وظائفا موحدًا عند جميع السُّور، فكلها -السور- مرسله من عند الله عز وجل عن طريق الوحي إلى المتلقي (الرسول صلى الله عليه وسلم) ويختلف فقط الموضوع/الرسالة التي تحملها السورة ، أما البنية العاملة الثالثة ، هي مَنْ تحمل برنامجا خاصا بموضوع سورة الملك.

2_3/ البنية العميقة :

أرشدتنا البنية السطحية إلى الآليات التي تتحكم في نمو النص ، أمّا البنية العميقة ستوصلنا إلى وضع المربع السيميائي الخاص بالسورة ، ويتعقَّب النموذج العملي وضع النموذج السيميائي حسب قريماص (GREIMAS) وهو ما يسمى بالمربع السيميائي.

يعني ذلك أنَّ رصد البنية الدلالية العميقة في النص المدروس ، قائم على استخدام نموذج البنية الأولى المسمى عند السيميائيين بالمرجع السيميائي ، فهو نموذج توليدي ينظم دلالة النص ، ويكشف عن آلية إنتاجها عبر ديناميكية التنافي ، وبواسطة علاقات التناقض والتضاد المتبادل.. فالنص ينبغي حسب ثنائيات متنوعة ، تكون متناقضة أو متضادة أو قضية تنفي قضية أخرى .. إلى غير ذلك.

ولضبط محاور المرجع السيميائي الخاص بسورة الملك لابدَّ من استخراج الثنائيات المتضادة ثم إجمالها في ثنائيتين شاملتين تعكس صيرورة البنية الدلالية للنص ، وسبق أن بحثنا في المستوى الدينامي للنص عن الجملة-الهدف ورأينا أنها تعني "مركز القرار ومنطلق الإشعاع" ، وهي الجملة التي يتجه ما قبلها ليستقر فيها وما بعدها يتفرع منها وهي تكثيف لما سبق وما يلحق ، ووجدنا أنها الآية (22): ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مَكْبَأً أَهْدَىٰ أَفَمَن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

تجمع الجملة / الآية الهدف ، بين حالتين مركبتين (مقابلة):

حالة المشرك / الأعلى / لا يهتدي إلى الطريق

حالة الموحّد / صحيح البصر / يمشي في طريق واضحة

ورأينا أنَّ ما يربط الجملة-الهدف بصيرورة النصّ هي علاقة تضادية ، ما يجعل منها آية متعلقة بالآيات الأخرى قبلها وبعديا حسب التقابلات التضادية ، وأنَّ الامتداد التدريجي لها يعكس في السورة التشاكليين التاليين:

حالة المشرك: [الكفار + الشياطين + جهنم + عذاب السعير + يمشي مكبا + قليلا ما يشكرون + سيئت وجوههم ...]

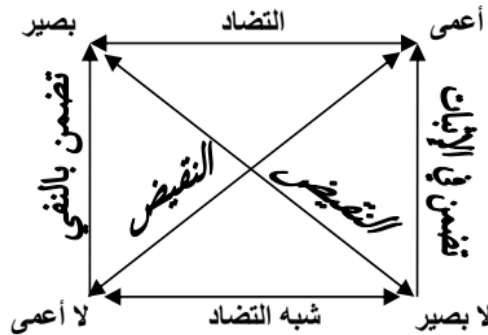
حالة الموحّد: [المؤمنون + يخشون ربهم + لهم مغفرة + أجر كبير + يمشي سويا + آمنّا به + توكلنا عليه ...]

إذن ، يبيّن التشاكل الأول حالة الإنسان السوي والبصير والمؤمن المصدق لحقيقة الملك ، أما التشاكل الثاني فيعكس حالة الإنسان غير السوي والأعشى والكافر المكذب لحقيقة الملك ويصبح لدينا الثنائيات الضدية التالية:

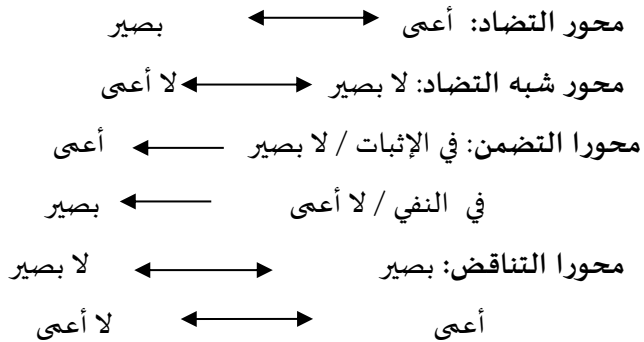
البصير [المؤمن + السوي + المصدق + الموحّد]

الأعمى [الكافر + غير سوي + المكذب + المشرك]

ومعنى هذا أن هناك قضية محورية تتنامى في النص عبر دينامية ثابتة تحمل المؤشر الإيجابي فبالرغم من وجود التقابلات الضدية في السورة إلا أن دلالتها تتناسل في السياق إيجابا بداية من الآيات الأولى ، ونجد فيها تراكما وتعاضدا وإطنابا ، تخدم جميع دلالاتها بتضاداتها وتناقضاتها محور السورة الموحد ، فهي تعالج موضوعاً واحداً يتعلق بالله عز وجل وجاءت الأحكام فيها إيجابية تصف حالتان متضادتان: حالة البصير/ حالة الأعمى ، ويصبح لدينا المربع السيميائي الخاص بسورة الملك بمحاوره الأربعة كالتالي:



وتنقسم المحاور الخاصة بالمربع السيميائي كالتالي:



مراجع البحث :

- 1- ابن عاشور الطاهر ، ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، ط 01 ، 1984 .

- 2- بن مالك رشيد ، " السيميائية بين النظرية والتطبيق ، رواية نوار اللوز نموذجا " رسالة دكتوراه ، 1994 (تلمسان).
- 3- حمداوي جميل ، السيميوطيقا والعنونة ، الكويت مجلة عالم الفكر (ع 3 ج 5) ، مارس ، 1997 .
- 4- دروزة محمد عزة ، التفسير الحديث / ترتيب السور حسب أسباب النزول ، الجزء الخامس ، دار المغرب الإسلامي ، لبنان ، ط 2 ، 2000.
- 5- الزمخشري محمود بن عمر ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تصحيح مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط 3 ، 1987.
- 6- قطب سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، مصر ، ط 25 ، 1996 .
- 7- المرزوقي سمير ، مدخل إلى نظرية القصة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط 1 ، د ت
- 8- مفتاح محمد ، دينامية النص ، إنجاز وتنظير ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 2006 .
- تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص- المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 1992 .
- 9- النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، أسباب النزول ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 2 ، 1991 .
- 1- Bignal . J. Media Smiotics And Introduction , Manchester University , press , 1997.
- 2- COURTÉS JOSEPH , Analyse sémiotique du discours , Hachette , paris , 1991.
- 3- COURTÉS.J et GREIMAS.A.J , dictionnaire raisonne de la théorie du langage , Hachette, paris ,1979.
- 4- De Saussure . F . Cours de Linguistique générale , éd Payot , Paris, 1972.
- 5- J.Dubois et Autres : dictionnaire de linguistique
- 6- - J.Kristeva : le langage cet inconnu , coll.points, paris,1981 .
- 7- Pierce . Ch . S . Letters to lady Welby , ed by I .C .Liby, New Haven , 1953
- الهوامش:

¹ -Pierce . Ch . S . Letters to lady Welby , ed by I .C .Liby, New Haven , 1953 , p35

- ² -Bignal . J. Media Smiotics And Introduction , Manchester University , press , 1997
b p1
- ³ -De Saussure . F . Cours de Linguistique générale , éd Payot , Paris, 1972 P: 33
- ⁴ - J.Dubois et Autres : dictionnaire de linguistique , p 434.
- ⁵ - J.Kristeva : le langage cet inconnu, coll.points, paris,1981 ; patrie3,p292.
- ⁶ - جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، الكويت مجلة عالم الفكر (ع 3 ج 5) ، مارس ، 1997
ص 83 .
- ⁷ - سمير المرزوقي ، مدخل إلى نظرية القصة ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ط 1 ، د ت ، ص 117.
- ⁸ - رشيد بن مالك ، " السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية نوار اللوز نموذجاً " رسالة دكتوراه
، 1994، (تلمسان)
- ⁹ - محمد مفتاح ، دينامية النص ، إنجاز وتنظير ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 2006 ،
ص 169 .
- ¹⁰ - انظر: محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناسل- المركز الثقافي العربي ،
المغرب ، ط 3 ، 1992 ، ص 152 ، 153
- ¹¹ - انظر: محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص 169 ، وتحليل الخطاب الشعري ، ص 154 .
- ¹² - انظر: محمد مفتاح ، دينامية النص ، مرجع سابق ، ص 170 .
- ¹³ - COURTRES.J et GREIMAS.A.J , dictionnaire raisonne de la théorie du langage ,
Hachette, paris ,1979, p. 295 .
- ¹⁴ - COURTRES JOSEPH , Analyse sémiotique du discours , Hachette , paris , 1991 ,
p . 152 .
- ¹⁵ - COURTRES.J et GREIMAS.A.J , dictionnaire raisonne de la théorie du langage ,
Hachette, paris ,1979, p. 29 .
- ¹⁶ - محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل ، تصحيح مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط 3 ، 1987 ، ج 04 ، ص
574.
- ¹⁷ - انظر: الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ،
ط 01 ، 1984 ، ج 01، الصفحات: 5.7.
- ¹⁸ - انظر: سيّد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، مصر ، ط 25 ، 1996 ، المجلد 6 ،
الصفحات: 3627- 3630.
- ¹⁹ - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، أسباب النزول ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،
ط 2 ، 1991 ، ص 248- 249 .
- ²⁰ - محمد عزة دروزة ، التفسير الحديث / ترتيب السور حسب أسباب النزول ، الجزء الخامس ،
دار المغرب الإسلامي ، لبنان ، ط 2 ، 2000 ، ص 373.
- ²¹ - محمد مفتاح ، دينامية النص (مرجع سابق) انظر هامش ص 106

- 22 - نفسه ، أنظر ص 220 . وإذا كانت المفاهيم الأولى تدخل ضمن الإطار المعجمي التركيبي (الكلمة ، الجملة) ، فإن البحث في صيرورة النص وتناسله يتم بالنظر إليه من زاويتين : دينامية التنافي و دينامية الثبات الخاص بالبنية الدلالية العميقة.
- 23 - محمد مفتاح ، دينامية النص (مرجع سابق) ، ص 211 .
- 24 - نفسه ، ص 212 .
- 25 - الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) ص 43.
- 26 - محمد مفتاح ، دينامية النص ، (مرجع سابق) انظر ص 213 .

*** **